*Universal Journal of Theology*

e-ISSN: 1304-6535
Cilt/Volume: 7, Sayı/Issue: 1, Yıl/Year: 2022 (Haziran/June)

# Fıtrat ve İçgüdünün Ahlaktaki Rolü
## -İslami Perspektiften Bir İnceleme-

دور الفطرة والغريزة في الأخلاق دراسة تحليلية من وجهة نظر إسلامية

The Role of instinct and instinct in morals
-Analytical study from an İslamic point of view-

**Abdulnaser SALLAM**
Dr. Öğr. Üyesi Yalova Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi,
Dinler Tarihi Anabilim Dalı
Assistant Dr., Yalova University, Faculty of Islamic Sciences,
Department of History of Religions, Yalova/Turkey
madhajy@hotmail.com
http://orcid.org/0000-0003-2061-2082

**Makale Bilgisi – Article Information**
**Makale Türü/Article Type:** Araştırma Makalesi/ Research Article
**Geliş Tarihi/Date Received:** 29/03/2022
**Kabul Tarihi/Date Accepted:** 24/04/2022
**Yayın Tarihi/Date Published:** 30/06/2022

Atıf/Citation: Sallam, Abdulnaser. "Fıtrat ve İçgüdünün Ahlaktaki Rolü -İslami Perspektiften Bir İnceleme-". Universal Journal of Theology 7/1 (2022): 19-50. https://doi.org/10.56108/ujte.1094756

# دور الفطرة والغريزة في الأخلاق دراسة تحليلية من وجهة نظر إسلامية

الملخص

إن موضوع الأخلاق من الموضوعات التي شغلت الإنسان في القديم والحديث، واهتم به الباحثون على أساس من العقل الإنساني الخالص، لشرح طبيعة الفعل الخلقي، وعناصره، ومصادره، وغاياته، ووجه الإلزام الخلقي، وغير ذلك من المفاهيم التي تتعلق بالأخلاق، لكن لم يتناول الباحثون بشكل دقيق دور الفطرة والغريزة في موضوع الأخلاق رغم أهميتهما كمكونين أساسيين في الطبيعة الإنسانية والتي هي محور علم الأخلاق. وعليه تهدف هذه الدراسة البحث دور الفطرة والغريزة في تحديد ماهية الخلق، وعلاقتهما بالنظام الأخلاقي في الإسلام، وذلك بدراسة تحليلية من وجهة نظر إسلامية تتناول ارتباط هذين المفهومين بتعريف الخلق وطبيعته ومصدره من خلال قضية الخير والشر، وتتناول ارتباطهما بأسس النظام الأخلاقي كدراسة إسلامية للإلزام الخلقي والمعيار الخلقي والغاية الخلقية والجزاء والمسؤولية. وتخلص هذه الدراسة إلى أنه لا يمكن فهم طبيعة الخلق وتأسيس نظام أخلاقي بمنأى عن الفطرة والغريزة، سواء من الناحية النظرية أو العملية، حيث إنهما مكونان أساسيان في الطبيعة الإنسانية يقومان بتكوين وتشكيل الخلق، وبهما يمكن الكشف أن الإنسان كائن خيّر، والأصل فيه الخير. وقد بينت هذه الدراسة خطأ نظرية الوسط الأخلاقية وذلك في التفرقة بين ماهية الفضيلة وماهية الخلق، وكشفت أن الفطرة والغريزة يشكل أحدهما أوكلاهما عنصراً أساسياً من أسس النظام الأخلاقي في الإسلام.

**الكلمات المفتاحية**: الخلق، الفطرة، الغريزة، قضية الخير والشر، أسس النظام الأخلاقي

**Fıtrat ve İçgüdünün Ahlaktaki Rolü -İslami Perspektiften Bir İnceleme-**

**Özet:**

Ahlak konusu, eski ve modern zamanlarda insanı meşgul eden konulardan biridir ve araştırmacılar ahlaki eylemin doğasını, unsurlarını, kaynaklarını, hedeflerini, Ahlaki yükümlülük , bağlayıcılık yönünü ve ahlak ve etik ile ilgili diğer kavramların açıklamasını saf insan aklı temelinde almaya önem vermişlerdir. Ancak araştırmacılar, önemine rağmen, insan doğasının iki temel bileşeni ve ahlakın,etiğin odağı olan fıtrat ve içgüdünün ahlak konusundaki kesin rolüne değinmemişlerdir. Bu çalışma, ahlak orta kuramının erdemin özü ile yaratılışın doğası arasında ayırım yapmadaki hatasını göstermiş ve Fıtrat ve içgüdünün her birinsinin veya her ikisinin, İslam'daki ahlaki sistemin temellerinin asıl unsurunu oluşturduğunu ortaya koymuştur. Buna göre bu çalışma, fıtrat ve içgüdünün, yaratılışın mahiyetini belirlemedeki rolünü ve bunların İslam'daki ahlaki sistemle ilişkisini araştırmayı amaçlamaktadır. Bu Ahlaki yükümlülük, ahlaki standart, ahlaki amaç, ceza ve sorumluluk üzerine İslami bir çalışma olarak, iki kavramın yaratılışın tanımı, mahiyeti ve kaynağı ile ilişkisini hayır ve şer meselesi üzerinden İslami bakış açısıyla analitik bir çalışma eşliğinde ahlaki sistem esaslarıyle temelleriyle olan bağlantısını ele alması sebebiyledir. Bu çalışma, yaratılışın doğasını anlamanın ve bir ahlaki sistem kurmanın teorik ya da pratik açıdan, fıtrat ve içgüdüden bağımsız mümkün olamayacağı sonucuna varmaktadır. Çünkü fıtrat ve içgüdü, Yaratılışı oluşturan ve şekillendiren insan doğasının iki temel bileşenidir.Ancak onlar aracılığıyla insanın iyi bir varlık olduğu ve kökenin iyi olduğu ortaya çıkarılabilir.

**Anahtar Kelimeler:** Fıtrat, içgüdü,hayır ve şer meselesi,ahlaki sistemin esasları

**The Role of instinct and instinct in morals Analytical study from an İslamic point of view**

**Abstract**

The issue of ethics is one of the topics that occupied man in ancient and modern times, and researchers have concerned ın theory, to To explain the nature of the moral act, its elements, sources, goals, the face of moral obligation, and other concepts related to morality, However, the researchers did not address accurately the role of Fitrah (Innate Character) and (Gharizah) instinct in the subject of ethics despite their importance as two basic components of human nature,

which is the core of ethics. Accordingly, this study aims to research the role of Fitrah and Gharizah in determining the essence of moral, and their relationship to the Islamic ethics, with an analytical study from an Islamic perspective that deals with the connection of these two concepts to the definition of moral, its nature and its source through the issue of good and evil, as well as it deals with their connection with the foundations of the ethics as an Islamic study of moral obligation, moral standard, moral purpose, penalty and responsibility. This study concludes that it is not possible to understand the nature of moral and establish a moral system that is apart from Fitrah and Gharizah, whether from a theoretical or practical point of view, as they are two basic components of human nature that form and model moral, and through them it can be revealed that man is a good being. This study showed the error of the moral Mean Theory in differentiating between the essence of virtue and the nature of character, and revealed that Fitrah and Gharizah, one or both of them, constitute an essential element of the foundations of the Islamic ethics.

**Keywords:** Moral, Innate Character, Instinct, The Issue of Good and Evil, The Foundations of Ethics

**مقدمة**

إن مبحث الأخلاق من المباحث العلمية الهامة والعظيمة التي اهتم بها العلماء المسلمون على اختلاف تخصصاتهم العلمية وما يزال هذا البحث من أهم المباحث على المستوى الفكري الإسلامي خصوصاً في الحديث عن علاقته بالطبيعة البشرية، ولقد تميز الإسلام بمراعاته للطبيعة الإنسانية المركبة من روح وجسد وما يتعلق بهما من مفاهيم مثل الفطرة والغريزة، وبلا شك أن هذه المكونات لطبيعة الإنسان لها دور كبير في دراسة سلوك الإنسان وقيمه. هذا ولم يتناول الباحثون بشكل دقيق دور الفطرة والغريزة في موضوع الأخلاق رغم أهميتهما كمكونين أساسيين في الطبيعة الإنسانية والتي هي محور علم الأخلاق، لذا إن من أهم المطالب التي لابد من دراستها في علم الأخلاق دراسة مفهوم الفطرة ومفهوم الغريزة وعلاقتها بالأخلاق، وتهدف هذه الدراسة الكشف عن دور الفطرة والغريزة في تحديد ماهية الخلق والنظام الخلقي عند الإنسان وكيف قدّم الإسلام نظريته الأخلاقية من خلالهما، وذلك بدراسة تحليلية من وجهة نظر إسلامية في حدود مفهوم الفطرة والغريزة ودورهما في الأخلاق وذلك من خلال ارتباط هذين المفهومين بتعريف الخلق وطبيعته ومصدره من خلال قضية الخير والشر، وتتناول ارتباطهما بأسس النظام الأخلاقي كدراسة إسلامية للإلزام الخلقي والمعيار الخلقي والغاية الخلقية والجزاء والمسؤولية.

## 1. دور الفطرة والغريزة في ماهية الخلق

### 1.1 تعريف الخلق

وردت كلمة الخلق لغة بمعان متعددة من أهمها تعريفه بـ: الطَبْع والسَّجيَّة.

أما تعريفه بالطَبْع والسَّجيّة[1]، فبالنظر الدقيق في دلالتهما، يظهر أن الطبع يطلق على ما لا يمكن تغييره، وهو الخلق الفطري، وعلى ذلك لا يمكن وصف الخلق بأنه سيء من ناحية الطبع أي الفطرة، وبالتالي القصد من تعريف الخُلق بالطبع هنا هيئة باطنية[2] وليس سلوك خارجي يمكن تغييره، أي أن الإنسان مطبوع على الخير.

أما السَّجيَّة فهي تطلق على الفطري الحسن، والمكتسب حسناً أو سيئاً إذا أصبح عادة، وهو غالباً ما يظهر كسلوك، ويمكن فهمه كسلوك من خلال قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾[3].

وهكذا من خلال هذين التعريفين يمكن القول إن الخلق هيئة باطنية فطرية تطلق على الخلق الحسن، ويقصد به أيضاً خلق مكتسب أي يتأثر بمصدر خارجي، وهو إما أن يكون حسناً أو سيئاً.

أما التعريفات الاصطلاحية فلقد اعتنى بعض علماء المسلمين وفلاسفتهم الذين اهتموا بمجال علم الأخلاق بتعريف الخلق، من أبرز هؤلاء:

**مِسْكَوُيه**: وجاء تعريفه للخلق: "حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رَويّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب. ومنها ما يكون مُستفاداً بالعادة والتدرُّب. وربما كان مَبْدؤه بالرَّويَّة والفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً"[4].

---

[1] أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار الصادر، 1956)، (د.ط)، 87/10.

[2] لاحظ اللغويون – فيما ساقوه من معان لكلمة الخُلق- ما بين كلمة الخَلق (بفتح الخاء وسكون اللام) وبين كلمة الخُلُق (بضم الخاء واللام) من علاقة ترجع بهما إلى أصل لغوي واحد، ولكنهم خصصوا كل واحد منهما بجانب من جوانب المعنى الذي يدل عليه هذا الأصل، فقالوا: إن الخلق يتعلق الجانب الظاهر من الإنسان، أي جسمه، وهو الذي يُدرك بالبصر، أما الثاني فهو الجانب الباطني منه وهو الذي يُدرك بالبصيرة.

[3] سورة الشعراء، الآية:137.

[4] ابن مسكويه، أبو على أحمد، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، (مكتبة الثقافة الدينية، 1998م)، ط1، 31.

**الغزالي**: تعريفه للخلق: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكرة ورَويَّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سُمّيت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سُمّيت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"[5].

**ابن القيم**: تعريفه للخلق الذي حصره في الخلق الحسن: "هيئة مركبة من علوم صادقة، وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بها أخلاقاً، هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها"[6].

إن مجموع هذه التعريفات يشترط وجود بعض العناصر حتى يمكن تحديد الخلق، وهي: هيئة نفسية راسخة، أي خلق دائم وغير متكلف، فعل جميل أو قبيح، إرادة الفعل، وبحسب تعريف ابن القيم للخلق الحسن، فهو يشترط العلم المشروط بالإرادة أي أن الخلق مكتسب من العقل، وهذا إن كان مقبولاً في حالات، لكن ليس شرطاً لأنه تقييد للخلق، حيث هو ينطلق – من الأساس– من هيئة نفسية كما ذُكر في تعريفي الغزالي ومسكويه ولم يُشر إلى ذلك ابن القيم في تعريفه، وبحسب التعريف اللغوي أن الخلق هو هيئة باطنية يُشار إليها بأنها طبع أي فطري من ناحية الخلق الحسن، أو أنه عادة اعتادتها النفس بالاكتساب.

وهكذا يمكن إجمال تعريف الخلق اصطلاحاً بأنه فعل إرادي نفسي جميل أو قبيح دائم وغير متكلف. ومن خلال التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي يتضح ارتباط الفطرة بالأخلاق. وبما أن الفطرة تعتبر مفهوماً أساسياً في طبيعة الإنسان في التصور الإسلامي، لذا يجب دراسة ماهية الفطرة وعلاقتها بالخلق، والبحث في مصدرها من خلال طبيعة الروح، كون الفطرة والروح يمثلان ناحية غيبية في الطبيعة الإنسانية.

### 2.1 مصدر الخلق بين الفطرة والغريزة

#### 1.2.1 الفطرة وعلاقتها بالروح

منذ القدم عرفت الأديان وأغلب الفلاسفة أن هناك ذات ما في الكائن، قائمة بذاتها، مستقلة عن البدن، ذات طبيعية معنوية غير ملموسة، أي ليس لها ظهور جسدي، واعتبرها البعض مادة

[5] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، (د.ط)، 53/3.

[6] ابن القيم، محمد بن أبي الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، تصحيح وتعليق طه يوسف شاهين، (القاهرة، مكتبة أنصار السنة المحمدية، 1388 هـ، 1968م)، (د.ط)، 135.

أثيرية أصلية من الخصائص الفريدة للكائنات الحية، واستناداً إلى المعتقدات الدينية أن هذه الروح مخلوقة من جنسٍ لا نظير له في عالم الموجودات وهو أساس الحياة والإدراك والوعي والشعور، هذه الذات هي الروح. وفي الحقيقة إن هذا التصور الإنساني لم يأتِ إلا عبر الوحي والتجربة الإنسانية معاً.

إن الروح من حيث حقيقتها في الإسلام يصعب تحديدها وبيان طبيعتها، لكن معرفة مصدرها وخصائصها ممكنة في ضوء النص والواقع.

توصف الروح في القرآن بالتقديس والتشريف، وذلك لأن الله أضافها إلى ذاته سبحانه وأمره في قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[7]، وقوله: ﴿قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[8]، وأن إحدى عمليات أو مراحل خلق آدم والمسيح عليهما السلام والإنسان والمخلوقات هي "النفخ"[9]. وبمنأى عن معرفة طريقة النفخ، فالواضح أن مصدر النفخ من وجود سماوي، الأمر الذي يعني أن الروح جوهر شريف[10]، ومن هنا رأى الغزالي أنها من جنس الملائكة[11]، ورأى أنها من الأمور الإلهية وأنها أجل وأرفع من الأجسام الخسيسة الأرضية[12]، لذا يذكر ابن القيم أن من الناس من تغلب

[7] سورة ص، الآية:72، وسورة الحجر، الآية:31.

[8] سورة الإسراء، الآية:85.

[9] الآيات القرآنية الوارد فيها لفظ "النفخ": ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سورة ص، الآية: 72 ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ سورة السجدة، الآية:9، ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ سورة الأنبياء، الآية:91، (التحريم: 12)، ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيراً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ سورة آل عمران، الآية:49، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيراً بِإِذْنِي﴾ سورة المائدة، الآية:110، والحديث: {إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون بعد ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح...} ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، (بيروت، دار المعرفة، 1973م)، (د.ط)، 484/11.

[10] الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر، النفس والروح وشرح قواهما، تحقيق محمد صغير المعصومي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1430 هـ، 2009م)، ط1، 64.

[11] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، كيمياء السعادة، (مصر: المكتبة المحمودية التجارية، د.ت)، (د.ط)، 6-8.

[12] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، ميزان العمل، (مصر: المطبعة المصرية، 1432ه)، (د.ط)، 18، 19.

عليه المادة السماوية على المادية الأرضية "البدن" فتصير روحه علوية شريفة تناسب الملائكة[13]، واصفاً إياها الرازي بقوله: "جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك"[14].

وبناء على هذا التصور يمكن معرفة مصدر الروح الذي يتضح أنه من عالم علوي وقدسي، فمصدر الروح من وجود فوق طبيعي لكنه ليس من الوجود الإلهي بالطبع لأن العالم السماوي مخلوق، ولعل معنى (الرجوع) و(الرد) الواردان في الآيات القرآنية يشي بالمصدر السماوي للروح، كقوله تعالى ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[15]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[16]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[17]، حيث إن الرجوع والرد يعني العودة إلى المكان الأول وهو العالم السماوي، يشير إلى ذلك الغزالي بقوله: "إذا كان الروح من أمر الباري تعالى فيكون في البدن كالغريب ويكون وجهه إلى أصله ومرجعه"[18]. والذي يؤكد هذا أن "هذه المادة السماوية والتي ليست من مرتبة الوجود الإلهي تجعلها قادرة على تلقي ما يرد إليها منه سبحانه وتعالى وعلى إدراك ما تتلقاه"[19].

إن من خصائص هذه الروح السماوية أنها حمّالة لطاقات عديدة يمكن القول إنها السبب في أن خصها الله عز وجل بالتشريف والتكريم، من هذه الطاقات طاقة الشعور والجمال والمعرفة والايحاء والاكتساب والخير وغيرها. ويمكن القول إن الروح هي مصدر هذه الطاقات التي تظهر في الجسد من خلال تفاعلها معه. لذلك تميز الإنسان من خلال هذه الطاقات الكامنة في روحه عن باقي الكائنات التي لا تملك جميع هذه الطاقات أو التي تملك بعضها بمستوى أدنى، ومن خلال مصدر الروح العلوي وخصائصها التي تمثلت بالطاقات قد استحق الإنسان

---

[13] ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، الروح، تحقيق وتعليق عادل عبد المنعم أبو العباس، (القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت)، (د.ط)، 170.

[14] الرازي. النفس والروح وقواهما. 205، 206.

[15] سورة السجدة، الآية:11.

[16] سورة الفجر، الآية:24-28.

[17] سورة الجمعة، الآية: 8.

[18] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، الرسالة اللدنية، (مصر: المكتبة المحمودية، د.ت)، (د.ط)، 10.

[19] العطاس، سيد نقيب، مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، ترجمة محمد الطاهر الميساوي، (عمان، الأردن: دار النفائس، 1430 هـ، 2009م)، ط2، 104.

لقب الخليفة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[20]، والتي لن تتحقق في الإنسان إلا عندما يعتني بروحه، ويوقظ طاقاته الروحية، التي ستمكنه من تطوير ذاته ونموه الداخلي.

تمثل طاقة الخير مصدر الأخلاق في الإنسان، حيث إن الفضائل الخلقية -كالصدق والأمانة والوفاء والإخلاص والعفاف والرحمة-هي قيمة روحية. وهذه القيمة الروحية تفرض نفسها على الوجدان البشري بطريقة أولية حدسية، فالإنسان يعرف بطريق مباشر وقبلي القانون الأخلاقي، شأنه شأن القول بالزمان والمكان والعلية، فالإنسان لا يقرر الواجب تبعاً لتجربة تكشف عنه، ولا يدرك الحرية باستنباطها من معرفة سابقة،[21] وهو يحب العمل الخيِّر، ويكره العمل الشرير، ويُميّز بين الجيد والسيء، ويحب الفضيلة في ذاتها وفي غيرها. وإن الدليل على تلك القيمة الروحية للأخلاق قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[22]، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[23]، وهكذا يتضح أن مصدر الأخلاق الأساسي هو الروح، وأن الخلق المتمثل بالقيم والفضائل فطري.

ومن هنا يتضح أهمية الروح في علم الأخلاق حيث يظهر أن الإنسان قد تلقى في تكوينه الأول الإحساس بالخير والشر من خلال طاقة الخير الروحية، فالإنسان يولد ميال لأن يكون خلوقاً، ولديه نوازع داخلية المنشأ تدفعه إلى فعل الخير، وهذا يعني أن هذه الطاقة تمثل ما يسمى في الإسلام بـ "الفطرة"، وعليه عُرِّف الخلق الحسن بالفطرة لغوياً كما مر، لذلك يمكن تعريف الفطرة بأنها "عبارة عن شعور أخلاقي يولد به الإنسان في كمال خِلقته، ولابد لشعور هذه حقيقته أن يكون تلقائياً لأن الإنسان مخلوق به، وأن يكون جمالياً لكمال هذا الخلُق، وأن يكون عملياً لتعلقه بأفعاله"[24].

إن هذه الفطرة تقتضي معرفة ومحبة كل ما هو حق وكل ما هو خير، ولذا استدل بالفطرة السليمة على معرفة الله تعالى والإقرار بربوبيته، من حيث إن معرفته سبحانه هي رأس الخير كله.

---

[20] سورة البقرة، الآية:30.

[21] كانط، ايمانويل، نقد العقل العملي، ترجمة احمد الشيباني، (بيروت، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1996م)، (د.ط)، 266.

[22] سورة الشمس، الآية:7-8.

[23] سورة البلد، الآية:10.

[24] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2009)، ط4، ص 46.

- وهذا ما قرره القرآن بوضوح أن الإنسان مفطور على التدين أو التوحيد في استشهاد الله الإنسان على نفسه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا...﴾[25]، لذلك مهما بلغت درجة انحراف الإنسان في سلوكه فإنه يجد نفسه مضطراً إلى الاعتراف بحب الخير وتقديس الفضيلة لذاتها، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[26].

- وهذا يتوافق مع ما رُوي من أحاديث، فقد روي عنه ﷺ أنه قال في الفطرة: {ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه}[27]، وقوله: {الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا}[28]. ورُوي عنه في اطمئنان النفس إلى الخير وعدم اطمئنانها إلى الشر: {استفت قلبك، البرّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك}[29]. وروي عنه في فطرية القيم مثل الأمانة: {أن الأمانة نزلت في جذر (أصل) قلوب الرجال، ثم علموا من الكتاب، ثم علموا من السنة}[30]، وقوله للمنذر بن عازر {إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة، فقال يا رسول الله كان بي أم حدثا؟ قال: بل قديم، فقال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما}[31]، وهذا يعني أن الأصل في الإنسان أن يكون أميناً حليماً صبوراً.

وعليه إن النزعة الخلقية لدى الإنسان -من خلال هذه الفطرة- ملازمة له منذ وجوده في هذه الدنيا، ومهما اعتراها من تأثيرات خارجية، تظل صعبة التبديل لقوله عز وجل ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[32]، وهذه النزعة الخلقية تتفاوت بين الكمال والنقص،

[25] سورة الأعراف، الآية:172.

[26] سورة العاديات، الآية:6-8.

[27] رواه البخاري في الجنائز (1292)

[28] رواه مسلم في البر والصلة والآداب (2638)

[29] رواه الإمام أحمد (17454)

[30] رواه البخاري في الفتن (6675)، ومسلم في الإيمان (143)

[31] رواه أبو داود في الأدب (5225)

[32] سورة الروم، الآية:30.

لكنها لا تتبدل ولا تنعدم أبداً. وهي بلا شك موجودة لدى كل الناس، ثم تتفاوت بينهم في مدى تحقيق الأخلاق الفاضلة، ومدى سلوكهم بمقتضاها.

وهذا يعني أن الإنسان قد خلقه الله تعالى وفيه النزعة الأخلاقية في ذاته في إطار ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، وليس ثمة إنسان شريراً خالصاً، بل إن لديه نوازع إلى الخير كامنة في نفسه، قد تدفعه في لحظة ما إلى أن يكون فاضلاً وإن كان أكثر الناس شرّية[33]، وقد أشار القرآن إلى أن الكافر أو المشرك لا يخلو من الخير، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾ **34**، وقوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ **35**، بل أن وصف الله عز وجل له بالكفر والشرك، دلالة على معرفته بالحق فالكفر هو التغطية والستر[36]، والشرك هو إقراره بالله لكنه يعبد معه ما دونه. وبناء على ذلك فالإنسان طبيعته خيّرة، أي أن الأصل في الإنسان الخير، أو بتعبير آخر الإنسان كائناً أخلاقياً، وهو تصور يتفق مع الآية التي تصف الإنسان بأنه مخلوق في أحسن تقويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ **37**، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[38] أي طبيعة ذات كمال وبراءة من الآفات والعيوب.

والنفس على هذا مهيأة للخير، وصالحة لفعله، مزودة بالإرادة لتحقيقه، لكن ما قد يعترضها من ظروف في البيئة أو في المجتمع قد ينحرف بها عن الصلاح، وعندئذ لا تحس سكينة ولا أمناً، لأن انحرافها عن الخير والإيمان مخالفاً لطبيعتها، ومضاد لفطرتها. ويمكن تشبيه النفس في أصل خلقتها "بأنها كالبذرة الصالحة التي أودع الله فيها مقوّمات النماء والإثمار، فهي مهيأ -في أصل وجودها- لذلك، ولكن هذا النماء والإثمار مشروط بتحقيق الظروف والشروط الملائمة له، فإذا تيسرت خرج إلى الوجود ما كان كامناً في باطنها، أما إذا تخلفت هذه الظروف فإنها تذبل وتضعف أو تموت"[39] أي أن الأخلاق لا يمكن أن تظهر في الإنسان بطريقة آلية، بل إنها محتاجة لنموها وتجسيدها إلى عوامل أخرى.

---

[33] عبد الناصر سلام، قضية الشر في الخلاص المسيحي، مجلة الثقافية، كوالاكنجسار، ماليزيا، ج5، العدد 2، 2015، ص 141.

[34] سورة البقرة، الآية:88.

[35] سورة النجم، الآية:34.

[36] ابن منظور، لسان العرب، 144/5.

[37] سورة التين، الآية:4

[38] سورة السجدة، الآية:7

[39] عبد الحميد مدكور، دراسات في علم الأخلاق، (القاهرة: دار الهاني، 1426 هـ، 2005م)، (د.ط)، 8.

ومن هنا تمثل الفطرة هي الجانب الخيّر في الطبيعة الإنسانية كقوة روحية في الإنسان، لكن ما الفرق بين الروح والنفس، وهل الفطرة هي الغريزة، وما مصدر الغريزة في الطبيعة الإنسانية.

### 2.2.1 الغريزة وعلاقتها بالنفس

إن هذه الروح ذات العنصر السماوي بجوهرها المقدس إذا فاضت على الجسد تحوّلت إلى النفس، وهي طبيعة مزدوجة متأثرة بأصلها السماوي ومحيطها المادي الجديد، لذلك يصف الغزالي النفس بأنها بين وجهين: "وجه إلى الجنبة العالية وهي الملأ الأعلى، ووجه إلى الجنبة السافلة وهي جهة تدبير بدنه"[40]. ولقد أشار إلى ذلك ابن القيم في قوله: "إن أرواح بني آدم لم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس"[41].

لا تتسم النفس بتلك القداسة التي كانت لها قبل دخولها إلى الجسد، لذلك يسعى الإنسان جاهداً في حياته للوصول إلى هذا الجوهر المقدس في داخل كيانه من خلال تصفية نفسه وذلك عن طريق الاتصال بالله عز وجل ليصل إلى مرتبة الأولياء، أو تلك المرتبة التي اصطفى الله لها الأنبياء والرسل وخُتمت بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد عبر القرآن عن النفس بالعقل والقلب والفؤاد واللب، لأن هذه الأعضاء الحسية تمثل أدوات طاقات الروح المعنوية من حياة ومعرفة وشعور وخلق وتذوق الجمال، فعلى سبيل المثال يقول ابن القيم: "القلب يطلق على معنيين، أحدهما: أمر حسي وهو العضو اللحمي مجمع الدم، وأمر معنوي: وهو لطيفة ربانية رحمانية روحانية لها بهذا العضو تعلق واختصاص"[42] وتارة يصف القرآن هذه النفس باللوامة أو الأمارة بالسوء أو المطمئنة وذلك تعبيراً عن أثر أو نتيجة هذه الطاقات في عملها في الجسد.

ولقد نمت في النفس الغريزة أو الغرائز بفعل الحاجة المُلِحَّة لها، وذلك لبقاء النفس والحفاظ على مظهرها الخارجي، هذه الغريزة يمكن تعريفها بأنها "ميل طبيعي أو استعداد نفسي يدفع الكائن الحي إلى العمل في اتجاه معين تحت ضغط حاجاته الحيوية"[43] والنفس فيها غرائز متعددة، وهي تظهر عند اتقاء ضرر (مثل غريزة الخوف) أو لتحقيق مصلحة له (مثل غريزة

---

[40] ينظر: رفيق العجم، موسوعة مصطلحات الإمام الغزالي، (بيروت، لبنان: 2000)، ط1، 826.

[41] ينظر: ابن القيم الجوزية. الروح، 176.

[42] ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، 263.

[43] ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من العلماء والباحثين (صيدا: بيروت، المكتبة العصرية، 1431ه، 2010م)، ط1، 1254/2 (بتصرف).

النوم والجوع والعطش) أو للحفاظ على نوعه عموماً (غريزة الجنس). ومن هذه الغرائز أيضاً: غريزة التملك والغضب والجرأة والعَجَل والعبودية والمعرفة والاستمتاع والأبوة والأمومة والصُحبة وغيرها. ولأن الغريزة ارتبطت بالحياة لذلك وُصِفت بأنها الأصل والطبيعة، وفي حديث عمر رضي الله عنه: الجبن والجرأة غرائز.[44]

لكن الإنسان يمتاز أنه لا يترك الحرية لغرائزه للبقاء حياً، فهناك في نفسه قوة روحية هي قوة الخير تضبط غرائزه وتهذبها وتروِّضها وتتحكم فيها، كالقيم المتأصلة فيه، والشعور بالواجبات، والحس الأخلاقي المتمثل بالضمير. وعليه يمكن القول إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه أن يستبدل بالنظام الحيوي للحاجات (الغرائز) نظاماً خلقياً للقيم. وذلك من خلال تحقيق الموائمة والانسجام بين هذه الإثنية المتعارضة في الإنسان (غرائز/ قِيَم)[45].

وهذا يعني أن الغرائز ليست من الثبات حتى تسيطر على الإنسان، بل يمكن للقيم الأخلاقية التحكم بها، فليس مجرد وجودها يجعلها مبرراً لإشباعها، باسم حقوق الإنسان كما يحدث في العالم الغربي، فكثيراً ما يرث الإنسان استعداداً خاصاً ثم يفقده، كالأوز والبط فقد ذُكر أنه إذا أُبعِد عن الماء بعد الفقس بضعة أشهر يفقد ميله الغريزي إلى الماء بل يخاف منه، ويقول ابن خلدون في ضعف تأثير الغريزة والتي يسميها جِبلّة ومزاج وطبيعة: "إن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من الحضر، وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقاً وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلة"[46].

وكما أن الغرائز قابلة للتوجيه الإيجابي، فهي قابلة أيضاً للانحراف السلبي عن منهج الفطرة في الأصل، فالغريزة إذا لم تقف عند حدودها وتجاوزت الحدود التي خُلقت من أجلها، أصبحت خُلقاً سيئاً يسيطر على سلوك الإنسان وشهوته. وهكذا فإن الشر أو الخلق السيء يرجع لفجور الغريزة على القيّم أي انشقاقها، وهذا ما يمكن فهمه من قول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[47]، ويرجع إلى عدم الاتزان النفسي بين الغريزة والفطرة، ويمكن فهم ذلك من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى

---

[44] ابن منظور، لسان العرب، 387/5.

[45] ينظر: الشرقاوي، محمد الأخلاق بين الدين والفلسفة (حلب: سوريا، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، 1419 هـ، 1999م)، (د.ط)، 20، وينظر: زكريا ابراهيم، المشكلة الخلقية (القاهرة: مكتبة القصر، 1996)، (د.ط)، 26.

[46] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، (دار يعرب، ط1، 1425ه، 2004م)، ط1، 121.

[47] سورة الشمس، الآية:7-8.

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[48]، ويلحق بهذا المعنى كل الآيات التي وصفت الإنسان بالكنود والظلوم والجهول.

وقد حرص الإسلام على ضبط هذه الغرائز، ودعا إلى استخدامها في وجهتها الطبيعية التي خُلقت من أجلها، أو تلك التي حددها الخالق لها، وتكفلت الشريعة بتوضيحها ورسم السُبُل لإشباعها، والإسلام إذ يحدد الحدود الخيرة لإشباع الغرائز يكون قد راعى الطبيعة البشرية وما فيها من رغبات، فلم يدع إلى قتل الغرائز أو كبتها، ولم يحرم التمتع بطبيات الحياة، بل حدد لها الوجوه المشروعة التي لا تخرجها عن القصد والاعتدال، قد حقق التعادل في الإنسان بين متطلبات الغريزة ومقتضيات الفطرة، وحمى كل منهما من طغيان الأخرى عليها.

ولقد راعى الإسلام الطبيعة الإنسانية التي أكد على إثنيتها (خلق وغرائز)، أي أن الإنسان – كما تم ذكره– له غرائز وله في نفس الوقت قيم ومثل إنسانية، حيث إن الإسلام لم يأتِ بمصادمة الغريزة، أو يدعو إلى إلغائها وإزالتها، وهذا غير ممكن فضلاً عن أنه غير مطلوب، فلقد رفض الرسول ﷺ موقف ثلاثة من الصحابة أرادوا أن يقهروا غرائزهم لأجل النشاط في عبادة الله عز وجل والمسارعة إلى رضاه، وقد تكون الموازنة بين الغريزة والخلق هي التي وصفت في القرآن بلفظ أحسن تقويم في قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[49]، وهكذا فإن الخلق في الإسلام لا يعادي الغريزة بل يتوافق معها، بل ينظر إلى أنها مأمور بها في مواطنها الصحيحة، لذا سعى في تهذيبها وتوجيهها الوجهة الصحيحة بالصورة التي تتلاءم مع الخلق، وعلى قدر نجاح الإنسان في تحقيق إنسانيته على حساب ضبط غرائزه والتحكم فيها يكون أخلاقياً. ومن خلال هذه النظرة فالإسلام يؤكد أن هناك ملائمة وانسجام بين القيم المثالية والقيم الواقعية أو المادية.

ومما يؤكد أن الإسلام يوجه الغرائز بما يوافقها من أخلاق، حيث لا يوجد تصادم بين الغريزة والخلق، تلك الشواهد:

لم يمنع الإسلام غريزة الغضب وما يتعلق بها من غلظة وشدة، بل وجهها إلى خلق حسن وهو الغضب لله ولرسوله على سبيل المثال، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: {ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فقط

[48] سورة تبارك، الآية:22.

[49] سورة التين، الآية:4.

فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتَهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله عز وجل}[50] ولقد أمر الإسلام بالشدة على الكفار الأعداء، وذلك في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[51].

لم يقضِ الإسلام على غريزة الجنس ولم يعتبرها عيباً أو بهيمية أو محرمةً، ولم يتصورها أنها في صراع مع العقل كما يرى بعض علماء النفس الغربيين أو أنها تتصادم مع الفطرة والخلق في التعبير الإسلامي، بل أكد أن غريزة الجنس حق إنساني، وأنها يمكن لها أن تتوافق مع الفطرة من خلال خلق العفّة التي تتحكم وتسيطر على النفس، وتدعو إلى خلق الطهارة في إباء النفس أن تتمرغ في القاذورات، وتدعو إلى احترام الإنسان بعدم تعرُّضه للمهانة وعدم انتهاك شرفه وعرضه. ولا تصطدم هذه الغريزة مع خلق الإخاء والولاية، حيث جعل الإسلام علاقة الذكر والأنثى قائمة على ولاية بعضهم لبعض وهو أرقى القيم الأخلاقية، ولم يجعلها قائمة على غريزة الجنس ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[52]، "فأثبت الله للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين فيدخل فيها ولاية الأخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي، وولاية النصرة الحربية والسياسية"[53]. ولقد تحولت الغريزة الجنسية في الإسلام إلى خلق ديني بين الزوجين، باعتبارها نوع من العبادة كالتصدُّق، كما وصف ذلك الرسول ﷺ بقوله: {إن في بِضْع أحدِكم صدقة، فقالوا: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر}[54].

لم يحرّم الإسلام غريزة التجمُّل على الرجل والمرأة، ولا يُلام منها أحد، بل إن ذلك مطلوب شرعاً من خلال خلق الحِشمة والوقار، حيث تتوافق هذه الغريزة مع الفطرة في دعوتها إلى خلق حُب الزِّينَة والظهور اللائق في المجتمع والتعبير الذاتي عن صاحبه، لذا دعا الله عز وجل بني

[50] رواه مسلم في الفضائل (2328)

[51] سورة الفتح، الآية:29.

[52] سورة التوبة: الآية:71.

[53] محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، 1404ه،1984م)، (د.ط)، 11، 12.

[54] رواه مسلم كتاب الزكاة رقم (1006)

آدم –رجالهم ونساءهم– أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد، وأنكر على من حرم الزينة وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[55]، ولقد قال رجل للرسول ﷺ: {يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حسناً ونعلي حسناً أفذلك من الكبر؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: إن الله جميل يحب الجمال}[56].

ولقد وجه الإسلام غريزة التملك فيما يلائمها من خلق الاعتدال في الإسراف والتقتير، يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[57].

ولقد وجه الإسلام غريزة الخوف واستخدمها في خلق التقوى أي الخوف من الله، وخلق التريث وعدم إلقاء بالنفس إلى التهلكة ﴿...وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾[58].

وهكذا تبين في دراسة الطبيعة الإنسانية من خلال الفطرة كمكوّن روحي والغريزة كمكوّن نفسي دور كلا الفطرة والغريزة في تكوين وتشكل الخلق، أي أن الفطرة والغريزة عنصران أساسيان في فهم الخلق الإنساني، ولا يمكن فهم هذا الخلق بمنأى عنهما.

### 3.2.1 طبيعة الخلق بين قضيتي الخير والشر

وبما أن الخير مصدره الروح في الإنسان، لذا فالخير هو الأصل كما سبق القول عند الحديث حول الفطرة، أما الشر فهو عارض واستثناء، لذا عرّف ابن سينا "الشر بالعرَض" أنه هو الذي يطرأ على الأشياء بسبب المادة التي يلحقها[59]، ويمكن قياس الخير بالحلال والإباحة التي هي أصل الأشياء، أم الشر أو الحرام والخبيث فهو عارض. وهذا يعني أن الشر "هو الحابس المانع

[55] سورة الأعراف، الآية:31-32.

[56] رواه مسلم في كتاب الإيمان (131)

[57] سورة الإسراء، الآية:29.

[58] سورة البقرة، الآية:159.

[59] ابن سينا، حسين عبد الله، الإلهيات من كتاب الشفاء، تحقيق: آية الله حسن زاده الآملي، (قم، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، 1418ه)، ط2، 414/2.

للخير أو المضاد المنافي لكمال يقابله وخير يضاده"[60]. ومن هنا عُرِّف الشر بأنه "فقد ذات الشيء أو فقد كمال من الكمالات التي تخصه من حيث هو ذلك الشيء بعينه"[61]. وبعبارة أخرى إن الخير والشر هما قطبان يتجاذبان طرفي السلوك الإنساني في الحياة الأخلاقية، لذا فهذه العلاقة الثنائية تقابل الوجود والعدم، لأن الخير والشر لا يمكن اجتماعهما ولا ارتفاعهما، وإنما يرتفع أحدهما ويبقى الآخر. أي أن الخير هو عدم وجود الشر، والشر هو عدم وجود الخير، أي أن الشر هو المعنى السلبي للخير، فالخيانة فقدان للوفاء، والبخل فقدان للكرم، والظلم فقدان للعدل، والكذب فقدان للصدق، وهكذا الخير هو المعنى السلبي للشر.

وإنه لا غرو أن معظم الشرور الخلقية نابعة أولاً وقبل كل شيء مما في الطبيعة البشرية ذاتها من متناقضات، أي أن الشر في الحقيقة هو نتيجة انقسام الإنسان وتوزعه وتفككه في صراعه بين الفطرة والغريزة، ولعل هذا يكشف أيضاً أن منشأ الشعور الخلقي بالإثم هو مخالفة الغريزة للفطرة أو تلك القوة الروحية في الإنسان وهي قوة الخير.

لقد كانت أول خطيئة للإنسان على الأرض بسبب القصد الأساسي للغريزة وهو البقاء والحفاظ على النفس، وذلك لقوله تعالى: ﴿...مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ﴾[62]. وهذه الخطيئة لم تكن لخبث في طبيعة آدم، أو سوء في إرادته، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[63]، لكن خطيئته "كانت أثراً من آثار ضعف عارض، وجهد قاصر في مراعاة الواجب. ومن هنا لم تفسد فطرة الإنسان الأول، بحيث تستلزم تدخُّل "مخلص" غير نفسه، إذ كان يكفيه أن يعترف بخطيئته، ويظهر ندمه[64].

وهذا يؤكد أن الإنسان كائن خيِّر، والأصل فيه الخير، يصف ابن خلدون ذلك بقوله: "الإنسان أقرب إلى خِلال (صفات) الخير من خِلال (صفات) الشر بأصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة، لأن الشر إنما جاء من قبل الحيوانية التي هي فيه، وأما من حيث هو إنسان، فهو إلى

[60] محمد محمد طاهر آل شبير الخاقاني، علم الأخلاق النظرية والتطبيق (دار ومكتبة الهلال، 1987م)، ط2، 251.

[61] السابق.

[62] سورة الأعراف، الآية20.

[63] سورة طه، الآية:115.

[64] دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، تحقيق عبد الصبور شاهين، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1418ه، 1998م)، ط10، 149، 150.

الخير وخِلاله أقرب"[65]، وهذا ما أكده ابن القيم في صدد شرحه لآيتي الشمس السابقتين: "فعبر عن خلق النفس بالتسوية والدلالة على الاعتدال والتمام، ثم أخبر عن قبولها للفجور والتقوى"[66]. فالإنسان في الإسلام تكتنف حياته قوة وضعفاً، كمالاً ونقصاً، ومهما كانت الدرجة التي قد يصل إليها الإنسان من التردي الأخلاقي في وقت من الأوقات فإنه سيظل على الرغم من ذلك كائناً أخلاقياً يمزج في سلوكه بين مرتبة الحاجات الغريزية ومرتبة السمو الروحي، فليس ثمة إنسان –مهما بلغت درجة شريته- يخلو من بعض السمات الأخلاقية.

وبناء على تقابل الخير والشر في ماهية الخلق، لا يمكن قبول نظرية الوسط الأرسطية التي أخذ بها بعض العلماء والفلاسفة المسلمين الذين بحثوا في الأخلاق من أمثال مسكويه[67] والغزالي[68] إذا تم التفرقة بين الخلق من جهة الفطرة، والفضيلة من جهة الغريزة. إن نظرية الوسط تقوم على أن الفضيلة وسط بين رذيلتين هما إفراط وتفريط، أي أن الرذيلة أحد طرفي الفضيلة هما طرف إفراط وطرف تفريط كطرفي شكل مثلث (كما حدده أرسطو)، وهذا يناسب التعريف اللغوي للفضيلة أي الزيادة[69] وأن عكسها هو نقيصة أي قيمة متدنية، ولكن هذا القول صحيح إذا فُهِم أن الفضيلة صفة غريزية ولها قيمة متدنية من ناحية الإفراط والتفريط، لكن الخلق (كما مر) نقيضه عدمي وهو الشر وليس حدَّين (إفراط وتفريط) للخير، ففضيلة الشجاعة مثلاً هي فضيلة كما ذهب أرسطو لأنها وسط بين الجُبن إفراط والتهوّر تفريط، وفضيلة العفة وسط بين الخمود إفراط والفجور تفريط، لكنهما ليستا خلقين بل فضيلتين لغريزتي الغضب والجنس والذي يؤكد ذلك أن أرسطو يرى أن الشجاعة والعفة قوتان من قوى النفس، وأن جميع الفضائل التي استند إليها المؤيدون لنظرية الوسط هي صفات غريزية في الأساس كفضيلة العفة صفة لغريزة الجنس وفضيلة الشجاعة صفة لغريزة الغضب وفضيلة السخاء صفة لغريزة العطاء وفضيلة التودد هي صفة لغريزة الصّحبة. أما خلق الصدق لا يمكن اعتباره وسط بين رذيلتين، حيث لا يعدّ الإفراط في الصدق رذيلة ولكنه خلاف الحكمة، ولا يمكن القول إن الإفراط في الأمانة والرحمة والعدالة والإخلاص وغيرها رذيلة! وإن كان الإفراط يوصف

---

[65] ابن خلدون، المقدمة، 93.

[66] ابن القيم، محمد ابن أبي بكر الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: ناصر بن سليمان السعوي وغيره (دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1432ه، 2011م)، (د.ط)، 381/2.

[67] ينظر: ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، 25،24.

[68] ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، ميزان العمل، 65-76. الإحياء، 54/3.

[69] ابن منظور، لسان العرب، 194/11.

بالخطأ وعدم الاعتدال، وهكذا في جميع الصفات التي تمثل الخلق الحسن كالصبر والشكر والعفو والرضا والاعتدال والإيثار والتعاون والعفو والمروءة والكرم والمودّة والودّ وسلامة الصدر والألفة والوقار والتواضع والعزّة وغيرها من الأخلاق. وقد تنبه أرسطو أن من الأمور لا توسط فيها، فهناك انفعالات لا يمكن وصفها إلا بأنها شر ورذيلة مثل الحسد، والتلذذ بمصائب الغير، والرغبة في إيقاع الأذى بهم، ولذلك لا يصح البحث عن الوسط بالنسبة لها[70]، أي تلك الانفعالات التي هي نقيض الأخلاق العدمية للخلق الحسن (الفطري). وهكذا لا بد من التفرقة بين الخلق وهو من جهة الفطرة وبين الفضيلة وهي من جهة الغريزة.

## 2 دور الفطرة والغريزة في النظام الأخلاقي في الإسلام

بما أن الفطرة والغريزة عنصران أساسيان في ماهية الخلق، فلا بد أن لهذين العنصرين دورهما في النظام الأخلاق في الإسلام، وذلك في تحديد مصادر الإلزام الأخلاقي، والكشف عن المعيار الخلقي، وتوضيح الغاية الأخلاقية، ومن ثم المسؤولية والجزاء الأخلاقي، وهي الأسس التي يقام عليها أي نظام أخلاقي.

### 1.2 الإلزام الخُلقي

إن الإلزام يعني الإيجاب، واللازم هو الواجب[71]. واللازم أو الواجب هو الدافع الذي يحرك الإنسان بالرغبة أو الرهبة، فهو كقوة أو سلطة موجهة آمرة –على نحو مباشر أو غير مباشر– تلزم الإنسان بعمل الواجب، فيستجيب لها، ويلتزم بِفَعْل الخير وتَجنُّب الشر.

إنه يمكن القول أن الإلزام في الإسلام له مصادر متعددة كما سيتضح بعد قليل، فهو يتنوع بين إلزام داخلي الضمير أو الفطرة والعقل والترغيب والترهيب أو الغريزة وإلزام خارجي الكفارة المالية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحدود والتعزير. وهذا التنوع مبني على مراعاة اختلاف البشرية وتباين الاستعدات الإنسانية، لذا لم يجعل الإسلام مصدر الإلزام مصدراً واحداً

[70] ينظر: أرسطوطاليس، الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي السيد، (مطبعة دار الكتب المصرية، 1924)، (د.ط)، 1/ 246، 247.

[71] الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، (دار الفضيلة، د.ت)، (د.ط)، 241، 242

كما فعلت المذاهب الفلسفية التي تأخذ بالإلزام، وإنما جعل الإسلام للإلزام مصادراً متعددةً ليتلاءم ذلك مع طبائع الناس. وفي هذه الدراسة يتم تناول المصدر الإلزامي الفطري والمصدر الإلزامي الغريزي لتوضيح دورهما وأهميتها في النظام الأخلاقي في الإسلام.

إن طاقة الخير الروحية التي تمثل القيم الأخلاقية المركوزة في طبيعة الإنسان، تصبح من خلال مستويات نقائها قوة داخلية وسلطة ملزمة وصوت داخلي في أعماق الإنسان، تدفع بصاحبها إلى فعل الخير دون انتظار منفعة أو خشية عقوبة، وتحول بينه وبين المعصية، وتأمره بعمل الواجب، وتحذره من المخالفة، وتجعله يميّز بين الخير والشر، وبين الحلال والحرام. وهي في هذه الحالة تُسمّى الضمير أو النفس اللوّامة، وقد قال الله تعالى فيها: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[72]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[73].

ويُعدّ الضمير كرقابة داخلية أجدى من أي رقابة أخرى يفرضها القانون، ذلك أن في إمكان الإنسان أن يخدع القانون، أو يستغله لصالحه أو يحتال عليه أو يفلت من العقاب الذي ينصّ عليه، وفي إمكانه أيضاً أن يتخفى عن أعين الرقباء. ولكنه لا يستطيع أن يفلت من مراقبة ضميره، لأنه بمثابة محكمة داخلية لا يمكن خداعها ولا الإفلات منها، ولا يجدي معها المعاذير، لأنها لوّامة دائمة، تسارع إلى توجيه اللوم والتأنيب إلى صاحبها حتى يقلع عن الشر ويرتد إلى الخير، وقد تدفعه إلى التوبة والندم والاستغفار.

لن يتأتى لهذا الوازع الخلقي المتمثل بالنفس اللوّامة أن يكون سلطة ملزمة لصاحبها، إلا إذا خلا من المؤثرات الخارجية، أو تربى على الإيمان أو العقيدة وتكوّن تكوّناً سليماً. لذلك يعد الضمير سلطة ملزمة لطائفة من البشر قد ارتقت نفوسهم لمرتبة الضمير اليقظ والقلب السليم والنفس اللوامة لتصبح مصدر الإلزام الأخلاقي لهم[74].

لكن هناك من البشر لم يصلوا إلى هذه المرتبة، أو أن لديهم حاسة داخلية ضعيفة، فينتقل بهم المصدر الإلزامي من هذا المصدر الروحي إلى مصدر عقلي. لقد أكد الإسلام أن العقل قوة مؤثرة قادرة على الإدراك والتمييز.[75] ذلك من خلال تكريم الله للإنسان وتفضيله على غيره

[72] سورة الشمس، الآية:7-8.

[73] سورة ق، الآية:37.

[74] ينظر: مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلامية، (الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، 1992م)، ط2، 235.

[75] ينظر: السابق، 234.

من المخلوقات لتميّزه بالعقل، وقد خاطب الله الناس بالتدبر والتفكر والاعتبار، يعقب الله عز وجل بعد ذكر نعمه وما سخره للإنسان في شكل أدلة بقوله: ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[76]، فهذه الآيات تخاطب في الإنسان جانبه العقلي، وتشحذه ليؤدي دوره المنوط به، وذلك لأن الله منح العقل الفهم والوصف والاستنباط والتحليل والتركيب والنقد، لخدمة الحق والخير ومكارم الأخلاق[77]، وكان من أشرف ثمرة العقل معرفة الله تعالى، وحسن طاعته، والكف عن معصيته.

هذا يعني أن العقل كفيل -إذا لم يتم تعطيله- بأن يتوصل إلى سُبُل الخير والرشاد، وأن يتجنب أنواع الشر والفساد، أما إذا انحرف العقل وضعُف، ولم يستطع أن يوجه صاحبه إلى ما فيه سعادته، فإنه يكون بذلك قاصراً عن أداء وظيفته. ولهذا يقول أهل النار الذين لم تستطع عقولهم أن تدفعهم إلى الخير والسعادة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[78].

إن العقل لا يمكن أن يصبح مصدراً للإلزام الخلقي إلا للذين يُعمِلون عقولهم، ويطيعون أوامره، أما الذين لا يستفيدون مما منحهم الله هذه الملكة ينتقل بهم المصدر الإلزامي من المصدر العقلي المعرفي إلى المصدر الحسي.

وهنا تأتي دور الغريزة حيث يعتبر الترغيب والترهيب وازعاً قوياً يتلائم معه أكثر الناس، وذلك لأن النفس الإنسانية -بسبب غرائزها المتعددة كغريزة البقاء والتملك والمعرفة والاستمتاع والجنس- قد جُبِلت على الرغبة فيما ينفعها ويحقق لها السعادة واللذة، وعلى الرهبة مما يضرها ويجلب لها الشقاء والألم، ولهذا فإنها تتحرك بدافع الرغبة والرهبة وتسارع إلى فعل ما يحقق رغبتها، وإلى ترك ما يعرضها للرهبة.

وعليه فإن الإسلام بناءً على إدراكه للطبيعة البشرية قد اعتمد على الترغيب والترهيب كمصدر من مصادر الإلزام الخلقي، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[79].

---

[76] سورة النحل، الآية:11-13.

[77] ينظر: نديم الجسر، القرآن في التربية الإسلامية، (مجلة الأزهر، 1432ه، 2011م)، (د.ط)، 102.

[78] سورة الملك، الآية:10.

[79] سورة الزلزلة، الآية7-8.

وقد تنوعت أساليب القرآن من حيث الترغيب والترهيب وذلك لتنمية الوسائل التي تثير النفوس وتحركها نحو الفعل الأخلاقي:

ففي جانب الترغيب وعد الله بخير الدنيا وزيادته لمن يشكر، وحفظ النعمة لمن يحافظون على سلوك طريق الاستقامة، ووعد بالاستخلاف في الأرض، وبشر بالجنة في الآخرة بما فيها من نعيم دائم، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[80] وقوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ﴾[81]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[82]، وإمعاناً في الترغيب فإن القرآن الكريم يصور أنواع النعيم الذي تحفل به الجنة، من ذلك قوله ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[83].

وفي جانب الترهيب حذر الله العاصي والفاجر من عقابه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ، يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾[84] وقال: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[85] وإمعاناً في الترهيب فإن القرآن يصور أنواع الشقاء الذي في النار، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[86].

ووصف نعيم الجنة وشقاء النار وصفٌ أعترض عليه بعض المشككين، "وفي هذا تجاهل لطبيعة النفس البشرية في شدة حبها للخير والنعيم، ونقمتها من الحرمان، وأن سعيها في الدنيا لغاية حسية أكثر من كونها معنوية"[87]، غير أن هذا الإلزام الحسي يأتي في المرتبة الثالثة من مصادر الإلزام الخلقي في الإسلام وليس في المرتبة الأولى، حيث إنه كمصدر خلقي ليس له

[80] سورة الحج، الآية:50.
[81] سورة النور، الآية:55.
[82] سورة الكهف، الآية:107.
[83] سورة محمد، الآية:15.
[84] سورة البقرة، الآية:80.
[85] سورة المطففين، الآية:1.
[86] سورة الكهف:29.
[87] السابق، 105.

قيمة المصدرين السابقين من الناحية الأخلاقية في الإسلام، ولكن الإسلام حرص عليه باعتباره مناسباً لطبائع أغلبية البشر الذين لا يُجدي معهم إلا أسلوب الترغيب والترهيب.

وهكذا فإن الإسلام قد جمع الوازعات التي تضمن التزام الناس على اختلاف طبائعهم وفروقهم النفسية (السيكولوجية)، ولم يكتف بوازع واحد أو اثنين كما اكتفت الفلسفات والقوانين الأخرى، بل إنه أخذ في نظامه بوازعات متعددة ليكون كل منها مصدراً للإلزام الخلقي عند طائفة معينة، وقد راعى في ذلك اختلاف الفروق الفردية بين الناس، إذ أنهم ليسوا جميعاً على درجة واحدة في التأثر بهذا الدافع أو ذاك، بل إن "العبد يقرع بالعصان والحر تكفيه الإشارة"، و"الناس معادن"، ومراعاة هذا الاختلاف والفروق بين الناس تحتم الأخذ بمصادر الزامية مختلفة. ولا شك أن هذا يكشف عن جانب من الجوانب التي يتميز بها الإسلام ويسمو على المذاهب الفلسفية التي اقتصر كل منها على مصدر واحد للإلزام الأخلاقي، في حين أن الإسلام قد استوعب مصادر الإلزام الأخلاقي التي قامت بها المذاهب الفلسفية المختلفة، بل إنه زاد عليها.

### 2.2 المعيار الخُلقي

لقد سعى علماء الأخلاق منذ سقراط حتى اليوم إلى البحث عن معيار أو مقياس نظري يكون مبدأ عاماً تقاس به الأعمال، ويحكم به عليها بالخيرية أو الشرية. وقد وضعوا لذلك المعيار عدة نظريات تبين مدى اختلافهم فيه، حتى تعددت المعايير في علم الأخلاق منها على سبيل المثال معيار اللذة أو المنفعة، والمعيار الذاتي أو التجريبي أو الوجودي، والمعيار العقلي أو الحدسي، ومعيار المجتمع.

إن النظام الأخلاقي في الإسلام وضع معيارين للأخلاق هما: معيار عملي خارجي وهو من جهة الدين فيما يحدده الله تعالى أمراً ونهياً وخبراً، ومعيار نظري داخلي وهو من جهة النفس فيما تحدده الفطرة والعقل معاً.

#### 1.2.2 المعيار الفطري

إن طاقة الخير الروحية مَنحتْ الإنسان محبة الفضيلة والنفع، وكراهية الرذيلة والأذى. لذا يمكن أن تُسمى هذه الطاقة من هذه الجهة بـ "الفطرة" أو الحاسة الأخلاقية، والتي تمثل هنا معياراً فطريّاً، حيث تقوم بالتمييز بين الخير والشر، عن طريق ما يحققه الخير من راحة أو اطمئنان أو لذة روحية، أوعن طريق ما يسببه الشر من ألم أو حزن أو عذاب النفس، بتعبير آخر من حيث كونهما ملائمين للفطرة الإنسانية أو غير ملائمين.

وعليه فإن الفطرة هي معيار خلقي، ولقد عرفها ابن القيم من هذه الجهة بأنها "قوة مقتضية لمعرفة الحق وإرادة الخير"[88]، لذا اعتبرها رسول الله ﷺ مرجعاً أو حكماً أساسياً ينبغي أن يرجع إليه الإنسان ويأخذ برأيه إذا ما اشتبهت عليه الأمور واختلطت، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام –متمثلاً الفطرة هنا بالقلب {اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ... الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ}[89]، وقوله ﷺ {الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ}[90]، وهناك شواهد من القرآن تؤكد أن القلب أو النفس معيار خلقي، منها قول الله تعالى: ﴿بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[91]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[92].

وهذا المعيار عام بين كل الناس، حتى وصفه ابن تيمية باللوازم الإنسانية بقوله: "فإن الأمم لم تشترك كلها في غير لوازم الإنسانية"[93]، لأن الناس لا يختلفون على محبة النافع وكراهية الضار، ويميلون إلى من يتصف بالصفات الجميلة وينفرون عمن يتصف بالقبائح، وقد علموا أن العدل حسن والظلم قبيح بالحس والعقل والتجربة[94].

### 2.2.2 المعيار الديني

إن المعيار الأساسي الذي صدرت عنه الشريعة الإسلامية كلها ينطلق من التمييز بين الخير والشر، والذي هو من أهم العناصر التي تبرز الناحية الأخلاقية في الإسلام، وذلك يتمثل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[95]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[96].

---

[88] ابن القيم، ابن أبي بكر الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (مكتبة دار التراث، القاهرة)، (د.ط)، 592، 593.

[89] رواه الإمام أحمد (17454)

[90] رواه مسلم في باب تفسير البر والإثم (2553)

[91] سورة القيامة، الآية:14.

[92] سورة الشمس، الآية:7-8.

[93] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الرد على المنطقيين، (باكستان، دار ترجمان السنة، 1976م)، (د.ط)، 430.

[94] من الأمثلة على ذلك: قول هند بنت عتبة وهي تبايع رسول الله عليه الصلاة والسلام في تحريم الزنا: هل تزني الحرة يا رسول الله! وقول الصحابي: تركت الكذب أنفة.

[95] سورة النحل، الآية:90.

[96] سورة الأعراف، الآية:28.

هذا وتتسم الأحكام الشرعية في الإسلام من الناحية الأخلاقية بسمات كثيرة تؤكد صلاحيتها لأن تكون "مقياساً خلقياً عاماً إذا فهمت أحكامها وأسرارها فهماً سليماً"[97]. من هذه السمات:

اعتماد باطن الإنسان وظاهره في الحكم على الفعل كونه فاضلاً أو غير فاضل، فالحكم على الأعمال في الإسلام لا يتعلق بعمل الجوارح فحسب، أي لا يكفي أن يكون السلوك أو الفعل مطابقاً للنظام الأخلاقي كما جاء به الشرع من ناحية المظهر أو الصورة الخارجية، بل يجب أن تتوفر لدى الفاعل الأعمال الناحية الباطنية مثل: النية والإرادة الحرة والطاقة والوسع والعلم، ومثال على ذلك: النية في الأعمال: في قوله ﷺ: {إنما الأعمال بالنيات}[98]، والكُفْر كرْهاً وليس اعتقاداً في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ.. ﴾[99].

تنوُّع الأحكام بناء على تنوع حاجة النفس، فقد يكون الاشتغال بتصفية النفس من الأمراض النفسية كالحسد والكبر وغير ذلك من الرذائل أوجب من التعليم الشرعي، وقد يكون الجهاد أفضل من سقاية الحاج، وقد وردت أحاديث متنوعة حول أفضل العبادات، وكان ذلك التنوع لتنوع الحاجة النفسية للسائلين، لذلك تنوعت بين بقيام الليل وبر الوالدين والجهاد وغير ذلك.

إن المعيار الخلقي في النظام الأخلاقي في الإسلام يتكامل فيه المعيار الفطري مع المعيار الديني تكاملاً يتسم بأنه يعكس الارتباط بين الدين كنظام والخلق كسلوك صادر من النفس، ويكشف بالرغم أن المعيار الفطري ضروري للتفرقة بين الفضائل والرذائل لكنه غير كامل، لأن هذا المعيار يتوقف على الطبيعة الإنسانية السليمة التي فطر عليها البشر الأسوياء نفسياً وفكرياً، ولم تسيطر الغرائز أو أحكام العقل على الفطرة. لذا لابد من معيار آخر يتكامل مع المعيار الفطري للوصول إلى الكمال الخلقي، وهو المعيار الديني الذي ينسجم مع المعيار الفطري في علاقة روحية بالله سبحانه وتعالى.

وبناء على هذا التكامل بين المعيارين تنكشف النظرة الجزئية أو غير الدقيقة للأشاعرة في قولهم بالتحسين والتقبيح الشرعيين وذلك بجعل الدين هو المصدر الوحيد للقيم والتقويم، وأن ليس في الأفعال ولا في الأشياء في ذاتها صفة تقويمية، وإنما الذي يعطيها هذه الصفة هو الشرع

[97] محمد يوسف موسى، مباحث في فلسفة الأخلاق، (مصر: دار العالم العربي، 2020م)، (د.ط) ،162.

[98] رواه البخاري باب بدء الوحي (1).

[99] سورة النحل، الآية:106.

الإلهي،[100] أي أن هناك معيار وحيد للأخلاق وهو المعيار الديني، الأمر الذي يصبح فيه الدين عند الأشاعرة الأخلاق ذاتها، انطلاقاً من رد جدلي للمعيار العقلي عند المعتزلة، دون التمييز بين الفطرة والعقل.

وبناء على هذا التكامل بين المعيارين أيضاً يتميز النظام الأخلاقي في الإسلام عن دونه من المذاهب الأخلاقية الأخرى التي لم تحقق هذا التكامل، حيث كان التركيز على وجه واحد من حقيقة الإنسان المركبة، واتخاذه معياراً خلقياً لتحقيق غاية ما، الأمر الذي أدى إلى اختلاف نظرياتهم وتضاربها.

### 3.2 الغاية الأخلاقية

إن كل سلوك إنساني لابد له من غاية يكتسب به قيمته على ما سواه من أنواع السلوك الأخرى، وبناء عليه يتم تصنيفه إلى سلوك أو فعل أخلاقي قيِّم وفاضل، وما عداه ليس كذلك، لذا تعد الغاية هي "المؤثر في فاعلية الفاعل للشيء"[101].

وهذه الغاية تعبر عن الوجه الخفي لأعمال الإنسان مقابل السلوك الذي يعكس الوجه الظاهري لها، "فالفعل أو السلوك تتكون بنيته الأولى في ضمير الشخص الفاعل من حيث الخيرية والشرية"[102].

إن هذه الغاية في الإسلام هي "النية" التي تعني قصد الشيء وعزم القلب عليه، وهي تلعب دوراً جوهرياً في تقرير الحكم الخلقي على السلوك، حيث يعوِّل عليها الرسول ﷺ في الحكم على العمل بقوله: {إنما الأعمال بالنيات}[103]. فالحكم على الأعمال في الإسلام –كما سبق القول– لا يكفي فيه أن يكون السلوك أو الفعل مطابقاً للنظام الأخلاقي كما جاء به الشرع من ناحية المظهر، بل يجب أن تتوفر لدى الفاعل البواعث، والغايات الخيّرة وغيرها. وهكذا يتوقف الحكم على الفعل بالنية في الإسلام، فالقتل يكون جريمة إذا كان الباعث عليه العدوان، ويكون

---

[100] ينظر: أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، (القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، 2010م)، ط1، ص72-74.

[101] منصور على رجب، تأملات في فلسفة الأخلاق، (القاهرة، مكتبة الأنجلو، 1961 م)، ط3، 195

[102] محمد أحمد عبد القادر، من قضايا الأخلاق في الفكر الإسلامي، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2011م)، (د.ط)، 196.

[103] رواه البخاري باب بدء الوحي (1)

فضيلة إذا كان الباعث عليه الدفاع عن الوطن. وقد أباح الإسلام الكذب في بعض المواقف منها ما أشار إليه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: {الكذب كله على ابن آدم حرام إلا في ثلاث خصال: رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب في الحرب، فإن الحرب خدعة، ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما}[104]. ويؤكد الله عز وجل على أن المؤاخذة لا تكون على شكل الفعل، بل على النوايا والدوافع بقوله سبحانه: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[105]، ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[106].

والنية الأولى لكل عمل في الإسلام هي أن يكون خالصاً لوجه الله، أي أن يكون باعث الفرد وغايته في أداء واجباته هو الله، وليس رياء أو نفاقاً و لحظوظ النفس المختلفة، فالقيّم من الأفعال أو الفاضل منها هو ما كانت النية خالصة فيه لله، يقول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى، وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾[107]، ويقول: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾[108]. والنية الأولى في علم الأخلاق هي المثل الأعلى الذي يتجه إليه فعل الفاعل، وهي أيضاً "تعبير روحي عن معنى أداء الواجب لذاته، وهو معنى نجده في القرآن في أكثر من ألف موضع كلها تحث على الفضيلة لما لها من قيمة ذاتية بغض النظر عن كل آثارها"[109]، وبلا شك أن هذه النية أسمى من فكرة الواجب الغارقة في التجريدية عند المثاليين.

إن هذه "النية المثالية" الصادرة عن فطرة سليمة والتي تمثل غاية عظمى وباعث أعلى للناس لا تستبعد "النية الطبيعية" الصادرة عن الغرائز والمشاعر الإنسانية لأنها جزء من كيان الإنسان. فالطبيعة الإنسانية جُبلت على عمل الشيء لتحصيل الفائدة المرجوة من وارئه، لذا تنطوي تحت تلك الغاية باعث يتجه من خلالها أغلب المؤمنين في أعمالهم بدافع الثواب والعقاب، أي رجاء الجنة والخوف من النار، لذا قد جمع الله غاية الإخلاص لله، والباعث الغريزي للثواب والعقاب

[104] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك، جامع الأصول من أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط، (مكتبة دار البيان، د.ت)، (د.ط)، 239/11.

[105] سورة البقرة، الآية:255.

[106] سورة الأحزاب، الآية:5.

[107] سورة الأعلى، الآية:17-20.

[108] سورة الإنسان، رقم الآية:9.

[109] ينظر: زقزوق، محمود حمدي، مقدمة في علم الأخلاق، (مصر، دار الفكر العربي، 1993م)، (د.ط)، 74.

في قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾[110].

وهكذا فإن النية هي مناط العمل الأخلاقي في الإسلام، وإن مفهوم النية الخالصة لله عز وجل كوسيلة للفعل الأخلاقي تميز النظام الأخلاقي في الإسلام دون سواه.

**4.2 المسؤولية الأخلاقية**

إن المسؤولية تعني شعور المرء بأنه سوف يُسأل عن أعماله، ويتحمل ما يترتب عليها من نتائج وآثار.

وقد أكد الإسلام مسؤولية الإنسان على أفعاله في الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[111]، ﴿قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[112]، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾[113]، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[114]، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[115]، ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[116]، ﴿لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾[117]، ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[118].

وقد ورد في الحديث المشهور قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه"[119]، وقوله "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن

[110] سورة الإسراء، رقم الآية:57.
[111] سورة النحل، رقم:93.
[112] سورة سبأ، رقم:25.
[113] سورة الأحقاف، رقم:19.
[114] سورة النجم، رقم:39.
[115] سورة البقرة، رقم:286.
[116] سورة النساء، رقم:111.
[117] سورة لقمان، رقم:33.
[118] سورة القيامة، رقم:36.
[119] رواه الترمذي (2417)

رعيته، والرجل في أهله راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجه راعية ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته"[120].

إن الشعور بالمسؤولية لا يخلو منه إنسان، فهو شعور فطري أي أنها صفة يستمدها الإنسان من طاقة الخير الروحية أي الفطرة قبل أن يكتسبها من الخارج، لذا لا يمكن القول "أن هذه الصفة غائبة عن البعض أو كما يقال إن هناك من لا مسئولية له، فقد تتغير حيوية هذا الشعور من شخص لآخر، أو أن يكون هناك هروب من المسؤولية، لكن لا تختفي هذه الصفة من الإنسان"[121].

### 5.2 الجزاء الأخلاقي

إن الجزاء هو النتيجة المترتبة على المسؤولية، وهو بالتالي من مقتضيات النظام الأخلاقي، ولقد دل العقل والفطرة فضلاً عن الدين على أن لكل عمل نتيجة، وأن كل مسؤولية يلزم عنها جزاء. فـ "الجزاء الأخلاقي إنما هو نتيجة لازمة عن سلوك ما أو مجموعة من السلوكات التي فعلها الإنسان بمحض اختياره، خيراً كانت أم شراً"[122].

إن الجزاء يحقق العدل، فلابد أن يجد الخيّر أو المحسن جزاءه ثواباً، وأن ينال الشرير أو المسيء جزاءه عقاباً، فمن الظلم أن يتساوى الأخيار والأشرار في الحياة دون أن يجد هؤلاء ثوابهم، وينال أولئك عقابهم. وهكذا فالجزاء والعدل يجعلان للأخلاق قيمة ومعنى، وبدونهما تفقد الأخلاق كثيراً من قيمتها وقوتها ومضمونها، ولهذا فإن الإسلام ربط الأفعال بالجزاء ربطاً تاماً من حيث اعتباره نتيجة لها.

إن من أهم السمات التي يتسم بها الجزاء الأخلاقي في الإسلام، أن له شكلان: شكل مادي، وشكل معنوي:

– إن الشكل المادي يناسب غريزة الإنسان، وهي الثواب للأخيار للمطيعين المحسنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً، خَالِدِينَ فِيهَا لا

120 رواه مسلم في كتاب الإمارة (1829)

121 ينظر: زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، 38.

122 محمد أحمد عبد القادر، من قضايا الأخلاق في الفكر الإسلامي، 420.

يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[123]، والعقاب للأشرار للعاصين المسيئين، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[124]، وقال ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[125]. حيث يتمتع المطيعون الصالحون بما في الجنة من نعيم، وبما قد يفتحه الله عليهم من أبواب الرزق والخير في الدنيا، بينما يلاقي العصاة المفسدون أهوال النار في الآخرة، ويعانون ألوان الشقاء والعذاب والهلاك التي قد تَحُلّ بهم في الدنيا عقوبة من الله تعالى على شرورهم ومفاسدهم.

- أما الشكل المعنوي للجزاء وهي تناسب الجانب الروحي الفطري عند الإنسان، فإن "أعظم الأجزية القرآنية يتمثل في نعمة الرضا والارتياح لإداء الواجب"[126]، أي أنه يتمثل فيما يتنابهم من الشعور، فالمحسنون الأبرار يشعرون بالفرح والراحة والسعادة النفسية الغامرة، ويحسون براحة البال ورضا الضمير بما وفقوا إليه من الطاعة والعمل الصالح ومكارم الأخلاق، وهذا الرضا يرجع إلى إحساسهم بأنهم أرضوا الله تعالى. يقول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾[127]، ويقول: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[128]، ويقول: وقال: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾[129]، وفي الحديث: {من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن}[130]. بينما يشعر المسيئون أو الأشرار بالضيق والألم واللوم والتأنيب للتقصير في أداء الواجب وفعل الخير، ويحسون بالذنب الذي يطاردهم ليل نهار، ولهذا فإن المجرم قد يفلت من عقاب القانون، ولكنه لا يستطيع أن يهرب من هذا العقاب، لأن الرقيب عليه مقيم في داخله لا يفارقه وهو الضمير، وخاصة إذا كان ضميراً حيّاً يقظاً لوماً.

---

[123] سورة الكهف، رقم:107-108.

[124] سورة البقرة، رقم:81.

[125] سورة التوبة، رقم:35.

[126] زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، 74.

[127] سورة الغاشية، رقم الآية:8-9.

[128] سورة التوبة، الآية:72.

[129] سورة الفتح، الآية:18.

[130] رواه الطبراني، وخرجه النسائي في الكبرى، وقال الحافظ العراقي في أماليه، صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه الإمام أحمد في المسند.

**الخاتمة**

وهكذا اتضح في هذه الدراسة دور الفطرة والغريزة في تشكيل الأخلاق وخصوصا النظام الأخلاقي في الإسلام، وأنه لا يمكن فهم طبيعة الخلق وتأسيس نظام أخلاقي بمنأى عنهما، سواء من الناحية النظرية أو العملية، وظهر هذا في ارتباط تعريف الخلق بالفطرة عند العلماء المسلمين، وفي النتائج الآتية أن الفطرة هي الجانب الخير في الطبيعة الإنسانية كقوة روحية في الإنسان، وأن الفطرة والغريزة مكونان أساسيان في الطبيعة الإنسانية يقومان بتكوين وتشكيل الخلق، وعليه فهما عنصران أساسيان لا يمكن فهم الخلق الإنساني بمنأى عنهما، وكشفت دراسة طبيعة الخلق سواء من جهة الفطرة أو الغريزة أو من ناحية الخيرية والشرية أن الإنسان كائن خيّر، والأصل فيه الخير، وبيّنت خطأ فهم الخلق (الصفات الفطرية) ضمن نظرية الوسط الأخلاقية كما هي عند أرسطو وأنه يمكن تطبيق هذه النظرية على الفضيلة (الصفات الغريزية) مثل الشجاعة والعفة وغيرهما وخطأ، وأنه لا بد من التفرقة بين الخلق وهو من جهة الفطرة وبين الفضيلة وهي من جهة الغريزة. ومن نتائج هذه الدراسة أن أسس النظام الأخلاقي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفطرة والغريزة حيث شكلا أحدهما أو كلاهما عنصراً أساسياً من مصادر الإلزام الخلقي أو كمعيار خلقي أو في الغاية الأخلاقية أو ارتباط الفطرة بالمسؤولية أو تعلقهما بأنواع الجزاء.

وأخيراً إن نجاح علم الأخلاق يتوقف إلى حد كبير على مدى انسجامه مع طبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها، وبالتالي لا يمكن أن يستغني هذا العلم عن دراسة هذه الإثنية الغريزة والفطرة حيث يشكلان محوراً مهما لفهم الخلق، ويتسم النظام الأخلاقي في الإسلامي أن حقق التوازن بين المثالية والواقعية من خلال هذه الدراسة فلم يذهب مذهب النظم المتطرفة في المثالية والسمو الروحي التي تخيلت الإنسان ملاكاً أو شبه ملاك، فوضعت له من القيم والمثل ما لا يستطيع تحقيقه إلا بمشقة بالغة. ولم يذهب مذهب النظم التي تطرفت في الواقعية والتي نظرت إلى الإنسان على أنه كالبهيمة، فوضعت له من السلوك ما لا يليق به، ولهذا فالنظام الأخلاقي في الإسلام هو النظام المعبر عن النفس الإنسانية وتوازنها بين الفطرة والغريزة.

## المصادر والمراجع

أرسطوطاليس، الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي السيد (مطبعة دار الكتب المصرية، 1924)، (د.ط).

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك، جامع الأصول من أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط (مكتبة دار البيان، د.ت)، (د.ط).

الأشعري أبو الحسن على بن إسماعيل، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، (القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، 2010م)، ط1.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الرد على المنطقيين، (باكستان، دار ترجمان السنة، 1976م)، (د.ط).

الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي (دار الفضيلة، د.ت)، (د.ط).

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب (بيروت، دار المعرفة، 1379)، (د.ط).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون (دار يعرب، 1425ه، 2004م)، ط1.

دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، تحقيق عبد الصبور شاهين (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1418ه، 1998م)، ط10.

الرازي، الإمام فخر الدين محمد بن عمر، النفس والروح وشرح قواهما، تحقيق محمد صغير المعصومي (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1430 هـ، 2009م)، ط1.

رفيق العجم، موسوعة مصطلحات الإمام الغزالي (بيروت، لبنان: 2000)، ط1.

زقزوق، محمود حمدي، مقدمة في علم الأخلاق (مصر، دار الفكر العربي، 1993م)، (د.ط).

زكريا ابراهيم، المشكلة الخلقية (القاهرة: مكتبة القصر، 1996)، (د.ط).

ابن سينا، حسين عبد الله، الإلهيات من كتاب الشفاء، تحقيق: آية الله حسن زاده الآملي (قم، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، 1418ه)، ط1.

الشرقاوي، محمد الأخلاق بين الدين والفلسفة (حلب: سوريا، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، 1419 هـ، 1999م)، (د.ط).

طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2009)، ط4.

عبد الحميد مدكور، دراسات في علم الأخلاق (القاهرة: دار الهاني، 1426 هـ، 2005م)، (د.ط).

عبد الناصر سلام، قضية الشر في الخلاص المسيحي، مجلة الثقافية، كوالاكنجسار، ماليزيا، ج5، العدد 2، 2015.

العطاس، سيد نقيب، مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، ترجمة محمد الطاهر الميساوي (عمان، الأردن: دار النفائس، 1430 هـ، 2009م)، ط1.

الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، (د.ط).
الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، الرسالة اللدنية (مصر: المكتبة المحمودية، د.ت)، (د.ط).
الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، كيمياء السعادة (مصر: المكتبة المحمودية التجارية، د.ت)، (د.ط).
الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، ميزان العمل (مصر: المطبعة المصرية، 1432ه)، ط2.
أبو الفضل، جمال الدين بن منظور، لسان العرب (بيروت، دار الصادر، 1956م)، (د.ط).
ابن القيم، محمد بن أبي الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، تصحيح وتعليق طه يوسف شاهين (القاهرة، مكتبة أنصار السنة المحمدية، 1388 هـ، 1968م)، (د.ط).
ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، الروح، تحقيق وتعليق عادل عبد المنعم أبو العباس (القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت)، (د.ط).
ابن القيم، محمد ابن أبي بكر الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت)، (د.ط).
ابن القيم، محمد ابن أبي بكر الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق: ناصر بن سليمان السعوي وغيره، (دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1432ه، 2011م)، (د.ط).
كانط، ايمانويل، نقد العقل العملي، ترجمة احمد الشيباني (بيروت، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1996م)، (د.ط).
محمد أحمد عبد القادر، من قضايا الأخلاق في الفكر الإسلامي، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2011م)، (د.ط).
محمد رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، 1404ه،1984م)، (د.ط).
محمد محمد طاهر آل شبير الخاقاني، علم الأخلاق النظرية والتطبيق (دار ومكتبة الهلال، 1987م)، ط1.
محمد يوسف موسى، مباحث في فلسفة الأخلاق، (مصر: دار العالم العربي، 2020م)، (د.ط).
محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق (مصر، دار الفكر العربي، 1993م)، (د.ط).
ابن مسكويه، أبو على أحمد، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق ابن الخطيب (مكتبة الثقافة الدينية، 1998م)، ط1.
مقداد يالجن، علم الأخلاق الإسلامية (الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، 1992م)، ط2.
منصور على رجب، تأملات في فلسفة الأخلاق، (القاهرة، مكتبة الأنجلو، 1961 م)، ط3.
موسوعة الأحاديث النبوية، https://hadeethenc.com/ar/home
الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من العلماء والباحثين (صيدا: بيروت، المكتبة العصرية، 1431ه، 2010م)، ط1.
نديم الجسر، القرآن في التربية الإسلامية، (مجلة الأزهر، 1432ه، 2011م)، (د.ط).